الصحيفة السجادية

<"xml encoding="UTF-8?>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات ، و أفضل الصلوات على سيّد الكائنات محمّد الذي ختم برسالته النبوّات ، و على الأئمّة الأطهار السادات ، و على أصحابهم المؤمنين الأخيار و أتباعهم الأبرار مدى الدهور و الأعوام و الشهور و الأيّام و الساعات و الآنات ، و بعد :
فإنّ من عِبَر التاريخ أن نجتمع هذه الأيّام ، في هذه المدينة العريقة دمشق الشام ، محتفلين بأثر من الآثار الخالدة للإمام الهمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، زين العابدين عليه و على آبائه السلام ، لنتحدّث عن هَدْيه و معارفه من خلال هذا الكتاب العظيم : « الصحيفة السجّادية » .

محتويات [إخفاء]

فلماذا مثل هذا ؟

شخصيّة الإمام

و أمّا التشكيك في سند هذا النصّ

و أخيراً

أوّلا ـ الأساليب

1 ـ اسلوب الإنشاء

2 ـ أُسلوب الإستدراج

3 ـ أُسلوب التعميم و الكتابة

4 ـ نشر الأمل و الرجاء

5 ـ التكرار بعبارات متعدّدة

6 ـ الإلتفات

7 ـ المنطقيّة و التدريج

8 ـ إستخدام الفنّ

ثانياً : الأهداف و الدلالات

و نلخّص هنا ، العناوين العامّة للأغراض تلك

الصحيفة السجّادية / ترجمة هندية

الشهادات الصحيفة عند الناقدين

و العبرة التي ذكرناها ، هي أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقف عام (61) للهجرة ، و في مثل هذه الفترة الزمنية ، بالذات ، و على منبر المسجد الجامع في نفس هذه المدينة «دمشق» و في إحتفال أقامه الحاكم يزيد بن معاوية ، بحضوره و المحتفلين الذين غمرتهم نشوة الإنتصار و السرور يجلب الأسرى من معركة « كربلاء » الدامية .

ففي مثل هذا الحفل المهيب ، إنطلق الإمام ، يهدر على المسامع بخطبته العصماء ، التي لم يزلْ فيها معرّفاً بنفسه قائلا : « أيّها الناس ، أُعطينا سِتّاً ، و فُضّلنا بسبع ، أُعطينا العلم ، و الحلم ، و السماحة ، و الفصاحة ، و الشجاعة ، و المحبّة في قلوب المؤمنين . و فُضّلنا بأنّ منّا النبيَّ المختار محمّداً (صلى الله عليه و آله و سلم) ، و منّا الصدّيقُ ، و منّا الطيّار ، و منّا أسدُ الله و أسدُ الرسول ، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول ، و منّا سِبطا هذه الأُمّة و سيّدا شباب أهل الجنّة .

فمن عَرَفني فقد عَرَفني ، ومَن لم يعرفني أنبأته بحسبي و نسبي : أنا ابن مكّة و منى ، أنا ابن زمزم و الصفا ، أنا

ابن مَن حمل الركن 1 بأطراف الردا .
قال الحافظ الخوارزمي : ولم يزل يقول : « أنا ، أنا » حتّى ضجّ الناس بالبكاء و النحيب » 2 .
فتعرّف المحتفلون على شخص الإمام و شخصيته ، و كانت أُولى ثمرات ذلك الكلام أن تحوّلت الأفكار ، و تبدّلت سياسة الحاكم تجاه الأسرى ، فسرّحهم إلى موطنهم « مدينة جدّهم الرسول » .
و نحن اليوم محتفلون هنا ، في زمان و مكان ، نظير ذلك الحفل ، لنتعرّف على الإمام (عليه السلام) من خلال كلامه المرسوم على صفحات الصحيفة السجادية ، هذا الأثر العظيم الخالد ، علّنا نخرج متحوّلين في نظرتنا إلى الإمام ، فنعود عاقدين العزم على إعادة موقفنا من فقهه و تراثه ، و خصوص هذا الكتاب « الصحيفة السجّادية » و رواته العظماء الذين حملوه ، و الطائفة التي اعتنت به ، و احتضنته حتّى اليوم .
لِنَقِفَ على كنز من المعرفة ، طالما أُخْفِيَ! ولم تتمكّن الأُمّة الإسلامية الكريمة من الإستفادة التامّة من لآلئه .
و نشكر الله العزيز الجليل ، على هذه النعمة التي خصّ أُمّتنا بها بين الأُمم ، فجعل أهل البيت النبوي رحمةً لأوّل هذه الأُمّة و آخرها ، فالفضل في هذا الكنز يعود ـ بعد منشئه و مبدعه الإمام السجّاد زين العابدين (عليه السلام) ـ إلى الأئمّة العظام من أولاده الذين نقلوا هذه الصحيفة و راقبوا على تداولها ، و هما : الإمام محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر ، الباقر (عليه السلام) و الإمام زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، حيث أودعا ما أملاهُ أبوهما الإمام عليهما ، لدى أولادهما ، مؤكّدين على الحفاظ على النسخ ، مهتّمين بذلك غاية الإهتمام ، حَذَراً من وقوعها في أيدي عِداة العلم و الدين من الحكّام الطغاة الظالمين ، الذين يُحاولون إبقاء الأُمّة في الجهل ، و منعهم من التعرّف على المخلصين من العلماء الواعين ، إلى حدّ المنع من الكتابة و التدوين ، و المنع من نقل الحديث ، حتّى تعطيل مراكز العلم و الثقافة و هجر محاور الفقه و المعرفة ، بل قلبوا المدينة المشرفة المنوّرة من مرز الإشعاع الديني و الفكري ، و منطلق العلم و الجهاد ، لمركز للغناء والمجون والميوعة .
في مثل تلك الظروف الحرجة ، قام رواة هذا الكنز و حملته الأُمناء بحفظه وصيانته و جعله من « المظنون على غير أهله » و تداولته الصدور المطمئنّة و القلوب الآمنة و الأيدي الوثيقة ، حتّى بلغنا ـ و الحمد لله ربّ العالمين ـ بأوثق الطرق المتضافرة ، و تواترت نسخه الثمينة النفيسة ، و إنتشر نصّه المقدّس في عصرنا إنتشار النور ، و بلغ إلى أكثر الأُمم بترجمته إلى لُغاتهم ، فعلينا ، و نحن نعيش عصر الانترنيت ، و أساليب الإعلام السريعة و السهلة أن نُبادر إلى نشره و تعريفه إلى العالم بأفضل شكل ، ليكون دليلا آخر على عظمة الفكر الإسلامي ، و جدارته بالخلود ، و ليتروّى عالَمُ القرن الحادي و العشرين ، من معارفه العذبة الرويّة ، و ليتزوّد من ثماره اليانعة الغنيّة .
و ليكون تفنيداً للمزاعم الظالمة ، و التهم الباطلة ، التي تكيلها العلمانية و أنصارها ضدّ الإسلام و معارفه و تراثه و أحكامه في الإجتماع و الإقتصاد و الوجود و الكون .
إنّ إنشاء نصّ الصحيفة السجّادية في القرن الأوّل الهجري ، السادس الميلادي ، في مثل بيئة الإمام السجّاد (عليه السلام) بظروفه الخاصّة ، حيث كان متّهماً من قبل أجهزة الدولة ، لأنّه الوريث الوحيد لكلّ أمجاد أصحاب الرسالة من جدّه الرسول المصطفى ، و علي المرتضى و أبيه الشهيد في كربلاء .
و الظروف العامّة : حيث لا تزال الدولة تتولّى كِبْر منع الثقافة والتثقيف ، بمنع الكتابة و التدوين ، و منع الفقاهة و التحديث .
و المطاردة للإمام إلى حدّ المراقبة و الجلب و التقييد إلى عاصمة الحكّام ، و هذه المدينة « دمشق » الشام ، أكثر من مرّة .

فظهور هذا النصّ ، و بهذه القوّة في المحتوى و الأداء لهو من الميّزات التي يجعله في صدر قوائم الروائع البشرية الخالدة ، و هو من دواعي فخر المسلمين و إعتزازهم حيث يملكون مثله منذ ذلك التاريخ .
و لئن مرّت فتراتٌ مظلمة في تاريخ الأُمّة ، سوّدت صحائف منه ، فكتمت مثل هذه الذخائر ، و عتّمت على مثل هذه الأمجاد و المفاخر ، و تحكّمت الطائفية المقيتة في النفوس باعراضها و أحقادها ، و نشرت المخاوف ، بدل المعارف ، فمنعت من نشر هذا التراث العظيم ، الذي يشهد لعظمة المسلمين و مجدهم و علوّ كعبهم في الثقافة و الفكر قبل أربعة عشر قرناً .
فإنّ من مخلّفات تلك الظلمات هي المظالم التي يتولّى كِبْرها فئات مظلّلة ، مغفّلة ، تُثير الشبهة و الشكّ في وجه الحقّ و الحقيقة ، بما أدّى إلى جهل الجيل بهذا النصّ ، و إغفاله من قبل المهتمّين بالأدب و الفكر ، مع توجّههم إلى الأقلّ منه في القِدَم ، و ما لا يبلغ شأوه في العِظم ، من النصوص المرويّة عن مجهولي الهويّة ، و الشخصيّة ، من أصحاب الأهواء .

فلماذا مثل هذا ؟

أمّا هذه الرائعة ، فهي من لسان عربيّ صميم و أليق من إكتسى الأمجاد ، من خصّه الله بوحيه فبه فاه ، و بالبلاغة حلاّه ، و بمكارم الأخلاق حباه ، باعتباره الصادع بالشريعة الغرّاء ، و الواسطة بين الأرض و السماء ، و المطّلع على أسرار الخليقة ، و الواقف على المجاز و الحقيقة 3 .
من بني هاشم الذين قال فيهم عليٌّ أمير المؤمنين (عليه السلام) : « و إنّا لأُمراء الكلام ، و فينا تنشبّت عروقه ، و علينا تهدّلت غصونه» 4 .
و من ذريّة الرسول ، أفصح مَن نطق بالضاد حفيد علي بن أبي طالب «مشرع الفصاحة و موردها و منشؤ البلاغة و مولدها . . . لأنّ كلامه عليه مسحة من العلم الإلهي ، و فيه عبقة من الكلام النبويّ » 5 .
و قد سمعناه يقول في خطبته من على منبر الجامع بدِمَشْق :
« أُعطينا : السماحة و الفصاحة » و ها نحن نجدها بارزة متلالئة هنا .

شخصيّة الإمام

الإمام السجاد زين العابدين (عليه السلام) الذي احتلّ في الإسلام مقاماً عظيماً حتّى قال فيه الشافعيّ إمام المذهب : إنّه أفقه أهل البيت ، بل قال الزُهْريُّ : ما رأيت أحداً كان أفقهَ منه 6 و بعد إجماع المسلمين ، بكلّ فرقهم و طوائفهم ، على عظمة الإمام ، و إستحقاقه للمقام السامي الذي يحتله ، ليس لأحد المناقشة في ذلك : فهو عند الإمامية الرابع من أئمّتهم المعصومين المنصوص عليهم ، و كذلك هو عند الشيعة الإسماعيلية ، و عند قدماء الشيعة الزيدية ، و هو عند متأخّريهم من دعاة الأئمّة ، و أمّا عند عامّة أهل السنّة ، فلم يخالف فيه أحدٌ منهم ، بل قال الذهبي ـ أكبر مؤرخّيهم ـ في ترجمة الإمام ما نصّه : السيّد الإمام ، زين العابدين ، و كان له جلالة عجيبة و حقّ له ذلك ، فقد كان أهلا للإمامة العُظمى : لشرفه و سؤدده ، و علمه ، و تألّهه ، و كمال عقله .

و قد عبّر الجاحظ عن هذا الإجماع ، إذ قال : علي بن الحسين لم أرَ الخارجيّ في أمره إلاّ كالشيعي ، ولم أرَ الشيعيّ إلاّ كالمعتزلي ، ولم أرَ المعتزليّ إلاّ كالعامي ، ولم أرَ العامي إلاّ كالخاصيّ ، ولم أرَ أحداً يتمارى في تفضيله ، و يشكّ في تقديمه 7 .

و أمّا التشكيك في سند هذا النصّ

فهو جهد العاجز ، و اللجوء إلى مثل هذا السلاح ذي الصدأ لا يمضي في مثل هذا النصّ ، لما يلي :
فأوّلا : إنّه يُروى عند طوائف الشيعة كلّها : الإمامية و الإسماعيلية و الزيدية ، بشكل مستفيض ، بل متواتر الطرق إلى الأئمّة الباقر و الصادق و إلى زيد الشهيد (عليهم السلام) ، بحيث لا يرتاب فيه أحد و تتعدّد الأسانيد ، و تتضخّم كلّما مرّ الزمان و بَعُدَ ، فتتأكّد النسبة و تتكاثف الأسانيد و تتعاضد الطرق ، بحيث قلّ نظيره في النصوص الأُخرى .
و قد أسند إليه أصحاب الفهارس و المشيخات و عدّوه من الكتب التي عليها المعوّل و إليها المرجع .
ثمّ استندوا إلى ما فيها من الأدعية التي تتلى بعنوان التعبّد في المناسبات و الأيّام و حكموا باستحباب تلاوته خصوص أدعيتها مع إطلاق النسبة إلى الإمام ، و هذا أمر لا يقومون به إلاّ بعد التأكّد و الإلتزام بصحّة النسبة .
لما هو مسلّم عندنا من ورعهم و إحتياطهم و تدقيقهم في مثل ذلك في أبواب الفقه .
و أمّا الطائفة السنّية : فلو لم تقنع بمثل ذلك ، و ليس من مناهجها العلمية رفضه ، بل قد يتذرّع أحد لدعوى عدم الثبوت عندها ، و عدم وصوله إليها بطرقها الخاصّة .
فالجواب : أنّها دعوى مخالفة للمسلّمات ، إذ المفروض ثبوت ذلك عند أهله و أصحابه ، و قطعيته بالنسبة إلى الواقفين عليه ، و من علم حجّة على من لم يعلم ، و من حفظ حجّة على من لم يحفظ ، خصوصاً فيما صدر في بيئة معيّنة فإنّ الملاك ثبوت الصادر عند أهل بيئته ، كالأُمور الحادثة في بلدة معيّنة ، فإنّ اللازم ثبوت حدوثها عند أهل البلدة ، و علمهم بها ، و شهادتهم عليها و ليس للآخرين إنكارها و نفيها ، بدعوى عدم ثبوتها عندهم و لو بُني على مثل هذه الدعوى ، و التزم بلزوم ثبوت كلّ شيء للإنسان بنفسه حتّى يقتنع به ، لما إستقرّ كثير عن الأُمور ، و لأضطربت المسلّمات ، و تعذّرت الحقائق ، و هذا أمر يدفعه الوجدان ، و ينكره كلّ إنسان ، فالعقلاء يعترفون بثبوت الأُمور المسلّمة عند أهلها ، والمقبولة عند ذوي شأنها ، كأُمور التاريخ وحوادثه ، و البلدان و شؤونها .
و ثانياً : إنّ الحاجة إلى السند ، إنّما هو من أجل جواز نسبة المرويّات إلى الشارع الكريم ، و هذا إنّما يختّص بالأُمور التعبّدية المأخوذة من الشارع ، و ليس كلّ أمر بحاجة إلى مثل ذلك ، فالإنشائيات ، التي هي طلبات ، و إظهار لمرادات نفسية ليست بحاجة إلى إسناد ، بل أمرها دائر بين الوجود و العدم ، لا الصدق و الكذب اللذين هما ثمرة الإستناد إلى الاسناد .
فالأمر الإنشائيى ، إمّا موجود و حقّ و ثابت ، أو معدوم و باطل و مفقود ، و لو نقل مثله ولم يمنع منه دليل عقلي أو عرفي و عادي ، فهو ممكن و لو وافقه العقل و الوجدان و الواقع ، مثل مضامين الصحيفة ، حيث تحتوي التوقّعات و الرغبات النابعة من نفس الداعي ، ولم يخل أحدٌ من السامعين و الناظرين من مثلها ، فليس بحاجة إلى الاسناد .

و ثالثاً : إنّ نسخ الصحيفة ، هي بالكثرة و الوفرة العظيمة و منها النسخ العريقة في القِدم ، و ينتهي بعضها إلى القرن الخامس و الرابع ، و المزدانة بشارات التعظيم و القداسة حيث اعتنى بكتابتها كبار الخطاطين ، و زخرفها الفنّانون بأجمل الزخارف ، و كلّ ذلك يدلّ على العناية الفائقة التي كان أصحابها يولونها لهذه الصحيفة ، كالتي يضعونها عند الكتب المقدّسة .

و إذا اتّفقت النسخ ـ كلّها ، بلا إستثناء ـ و أجمعت على نسبة النصّ إلى الإمام السجّاد زين العابدين (عليه السلام) قولا واحداً ، ولم يكن هناك ، و لا مورد واحد ، لا في داخل هذه النسخ كلّها ، و لا في خارجها ، بل و لا وقع في خَلَد أحد من الناس : إحتمال النسبة إلى غير الإمام !

أفلا يكون في هذا كلّه مقنع بصحّة النسبة إلى الإمام و عدم الريب فيها .

بينما الإسناد إنّما يؤثّر وجوده و يحتاج إلى المناقشة فيه ، فيما لو كان هناك ما يُعارض وجود الحديث ، و يخالفه و يدفعه !

و لو جمعنا هذه الاُمور بعضها إلى بعض ، و قنعنا بثبوتها ، طول القرون الأربعة عشر الماضية ، أفلا يكون وازعاً للخضوع لهذه الحقيقة .

و أخيراً

فلو ركّزنا على النصّ ، و نقده داخلياً ، فلم نجد فيه بعد قوّة الأداء و جماله الفنّي في مجال الأدب العربي ، و بعد رصانة المتن و المدلول و كماله المعنوي في مجال الفكر الإسلامي ، فلم نقف على ما يتطرّق إليه بخدشة في اللفظ أو المعنى !

أفهل تبقى حاجة إلى إثبات آخر ، بينما يكتفي في الإثبات بالأقل القليل من هذه الأدلّة .

و نحن في هذا المجال نستعرض أهميّة هذا النصّ العظيم من حيث الاُسلوب و الأداء ، و من الأهداف و المضمون ، حتّى تتبيّن مكاتبة الفنيّة و الفكرية ، و يثبُت بذلك إمتيازه الذي يفرض علينا تقديسه ، ثمّ نستعرض شهادات الخبراء في الأدب العربي الذين أذعنوا لهذا النصّ بالعظمة ، و تواضعوا أمامه بالخضوع و الإكبار ، و التمجيد .

و أخيراً : نستقصي الجهود المبذولة حول الصحيفة و الإنجازات العلمية ، و التراثيّة ، و الفنية التي قدّمها العلماء و المؤلّفون ، لتخليد هذه الرائعة الخالدة .

أوّلا ـ الأساليب

1 ـ اسلوب الإنشاء

لم تكن الصحيفة بصيغة الروايات و الأحاديث المنقولة ، حتّى تعترضه مداخلاتها و مضاعفاتها ، أو تخترقه مصنوعات أهل الحديث و السنّة من مصطلحات الإرسال و الإنقطاع ، و مفاعلات التحريف و التصحيف ، و النقل

بالمعنى ، و ما إلى ذلك من إشكاليات أصبحت ذريعة في أيدي من يُحاول طمس الحقائق اليقينية ، و العقائد الحقّة ، بمثل تلك ، و لا زالت حقائق تُطمس على أيدي أهل الجرح و التعديل ، و المتصنّعين من المتشدّدين في هذه الأُمور .

فقد جعل الإمام السجّاد (عليه السلام) هذا النصّ بعيداً عن متناول ذلك كلّه ، لأنّه ليس إخباراً عن أحد ، و إنّما هو إنشاء ينبع من النفس ، و إخبار عن ما في قراراتها من تصوّرات و تطلّعات و رغبات و آمال ، و توقّعات و مخاوف و أطماع ، و مشاعر و أحاسيس ، صدرت عن الإمام بأُسلوب المناشدة و المناجاة ، و الإستعطاء و الإستعطاف ، بحيث يستوقف السامعين و يستعبرهم ، و يحدوهم على التأمّل و التكرار و الإستعادة و الإصرار ، لأنّه إذا عرف صدور هذا من أفضل أهل العصر ، فلابد أنّ ذلك سيبعثه على التأمّل في القول و الكلام ، و لابدّ أن ينفتح أمامه و لو منفذ صغير من رَوح الله ، و تشعّ عليه خيوط من أشعّة الحقّ النافذة .

2 ـ أُسلوب الإستدراج

أن يبدأ الإنسان بنفسه في أيّ عمل يريد تحقيقه ، شيء مُثير في نفوس الآخرين و موح للواقعية و الجدّية و الإخلاص و الصدق .

فمن أساليب الإمام انّه يخاطب نفسه و يُحاسبها في دعائه ، و يحرّك الضمير و الوجدان فيجد الآخرون حديثاً خاصّاً بين الإمام ، و بين ربّه يناجيه و يخاطبه و يستدعيه و يستوهبه ، و تارةً أُخرى يكون الحديث بين الإمام و بين نفسه يعاتبها و يلومها و ينصحها ويستحثّها و يستبطؤها و يَعِدُها و يُوعِدُها ، و يتفنّن في توجيهها بالوعظ و الإرشاد و الترغيب و الترهيب .

و مثل هذا الكلام ليس للآخرين حقّ الإعتراض عليه ، بل و لا الإعراض عنه ، فضلا عن التدخّل فيه ، بل ـ كما قلنا ـ باعث على التأمّل و العبرة ، لأنّه صادر من شخصيّة هو القمّة في المعرفة و الإيمان ، و على أعلى المستويات في البلاغة والفصاحة ، وبلغة الحقيقة و الواقع ، الذي ينطبق على الجميع ، و يحسّه كلّ أحد من نفسه ووجدانه فلا يمكن إنكاره ، و المباهنة فيه ، فلا يجد السامع و القارىء من نفسه إلاّ الوفاق مع الإمام ، و القبول بما في الكلام بشكل تامٍّ .

3 ـ أُسلوب التعميم و الكتابة

لم يركّز الإمام في دعائه ـ إطلاقاً ـ على ذكر أسماء محدّدة ، ولم يتعرّض للأفراد و الأشخاص ، و لا للأقوام ، بمشخّصاتهم ، فلم يطرح عناوين خاصّة ، يجعل لكلامه مضموناً عامّاً و مطلقاً شاملا ، يعطيه قابلية التطبيق على أكبر من مساحة ضيّقة ، و قابلية الخلود و الإستمرارية و هو أُسلوب مهمّ لتخليد التأثير و الإستفادة من النصّ ، و عدم تحجيمه و تطويقه ، كما يُبعده عن الهجوم و الرفض و المعارضة من قبل المعنيّين بالكلام حكّاماً و محكومين .

فهو يذكر الظالمين ، بكلّ صفة و عمل ، ينطبق على ظلمة التاريخ كلّه ، من عاصره ، و من تقدّم أو تأخّر عن عصره ، من دون أن يُمكّن أحداً من محاسبته و اتّهامه ، بل قد يبعث الظالمَ على أن يتبرّأ من حساب الخطاب متوجّهاً إليه ، أو محاولته الإبتعاد عن توجيهه إليه بترك جرائمه .

كما يصف أئمّة العدل ، فيعمّ بما يشمله هو و من سبق أو لحقه من المعصومين (عليهم السلام) ، بكلّ وضوح

، و ينطبق عليهم الكلام بحذافيره ، من دون أن يُثير في الحكّام وحشةً أو تحسّساً ، بل قد يستشرف لدعوى أنّه المقصود أو يتطلّع إلى أن يكون هو المعنيّ بالذكر .
إنّ وضع الخطاب على أن يقف سامعه على كلّ الحقائق و بكلّ أبعادها ، و أن لا يمكن مؤاخذته من قبل أهل الباطل ، و أن يُفلتَ من اتّهامه بشيء ، أمر ملحوظ في أساليب الإمام بوضوح تامٍّ .

4 ـ نشر الأمل و الرجاء

يواجه القارىء و السامع لكلام الصحيفة ، محاولةً جادّة في نشر الأمل و الرجاء في الروح ، فبينما يؤكّد على المسؤولية ، يبعث الحياة لروح الأمل و الرغبة ، في سياق إحياء روح المراجعة و المراقبة و الرهبة .
و لا يدع لليأس من روح الله منفذاً ، و هو أُسلوب قرآني ناجع .

5 ـ التكرار بعبارات متعدّدة

و من الأساليب الفعّالة ، إستعمال التكرار للمعنى الواحد ، بأكثر من عبارة ، فيقلبه في صيغ متعاقبة ، على التوالي ، بمقياس معيّن و نسق موحّد ، محافظاً على الجرس و الوزن الواردين في الجملة الأصلية ، و هذا يركّز في الذهن صورةً ذات أبعاد ، لا يمكن أن يُفلت العقل من جميعها في فترة قصيرة ، و لا يتجاوزها الضمير و الوجدان بسهولة ، فلابدّ أن يبقى في اللا شعور منها ما يؤذي هدف الوصول إلى المنشود .

6 ـ الإلتفات

تنويع أساليب الكلام ، من الخطاب ، إلى الغيبة ، إلى الإستفهام ، إلى العتاب ، إلى الترغيب ، إلى الإستنكار ، إلى الرجاء ، و هكذا .
ممّا يرفع الملل ، و يتقلّب معه الفكر ، ممّا يمنع القارىء و السامع عن ؟؟؟ بل السبات ، و يكون كلّ تقليبة و تحويلة إيعازاً ، يشدّه إلى الدعاء ، و يوجّهه إلى المعاني بشكل أدقّ و أعمق . .

7 ـ المنطقيّة و التدريج

ترتيب المعاني ، و إيرادها في الخطاب بشكل منطقيّ ، و متدرّج عقليّاً ، و حسب الواقع ، من الصغريات إلى الكبريات ، و من الجزئيات ، إلى المشتركات الكليّة ، ثمّ منها إلى النتائج ، ممّا يجعل له أثراً في تثبيت النتائج في عقل الداعي ، و تركيزها و الوصول بها إلى الأهداف المقرّرة للدعاء .

8 ـ إستخدام الفنّ

إنّ البديع اللفظيّ ، بتزويق الكلام المنثور مسجعاً ، موزوناً ، يجعله بمنزلة الشعر في تأثير جرسه و رنينه من جهة صيانته ، حيث تبدو للعيان لمسات التعدّي عليه ، و تتبيّن آثار التحريف و التصحيف على صفحته ، فيتصدّى لها بكلّ يسر ، قبل أن يستفحل الخطر .
و من جهة ما يترك جمال الفنّ و موسيقاه في النفوس من إيحاء و أثر .

و قد ظهرت على صفحات الصحيفة أنواع كثيرة من أساليب البديع العربي الجميل ، مع المحافظة على جميع الأهداف المقصودة ، و الوفاء بجميع الأغراض المنشودة في كلّ مقطع و موضع .

ثانياً : الأهداف و الدلالات

لقد إستهدف الإمام (عليه السلام) في الصحيفة أُموراً عديدة مهمّة ، و أغراضاً بعيدة عديدة ، في ما تنوّع من أدعية الصحيفة ، بمناسباتها الزمانية و ظروفها المكانية ، و الحوادث ، و الأشخاص ، و الموجودات المختلفة التي كانت محوراً لكلامه ; بدءاً بالخالق جلّ جلاله ، و مروراً بالملائكة و الإنس ، و الجنّ ، و الشيطان ، و ختاماً بالحشر و المعاد و القيامة و الجنّة و نعيمها الخالد ، و ما يوازي كلا من ذلك ، أو يقارنه أو يسبقه أو يلحقه من شؤون 8 .
و قد أعددنا في عملنا هذا ، فهرساً جامعاً على المواضيع التي دخلت في الصحيفة ، و كان في كلام الإمام (عليه السلام) ذكرٌ أو إشارة إليه ، كما ركّزنا في شرحنا الموضوع على الهوامش ، على إبراز ما توصّلنا إليه من هذه الموضوعات ، و بلورته حسب المستطاع بعون الله تعالى .

و نلخّص هنا ، العناوين العامّة للأغراض تلك

إنّ الصحيفة قد أرسلها علماء الإمامية إرسال المسلّمات ، ؟؟؟ ، أو بعض ما فيها من الأدعية ، إلى الإمام السجّاد (عليه السلام) بلا مناقشة في النسبة أو السند . فذكرها المفيد في الإرشاد وذكرها الطوسي في الفهرست ، و المصباح و ذكرها النجاشي في الرجال و ذكرها الخزاز في كفاية الأثر و ذكرها ابن شهر آشوب في مقدّمة معالم العلماء و في ترجمة رواية عمير بن المتوكّل .

الصحيفة السجّادية / ترجمة هندية

السيف اليماني ترجمة الصحيفة السجادية إلى الأُردو للسيّد محمّد هارون الهندي (1292 ـ 1339) الحسيني الزنگي پوري
ترجمة الصحيفة السجّادية إلى الانكليزية ترجمة البورفسور وليام چيتيك المولود 1943م هو أُستاد جامعة ولاية نيويورك ـ امريكا 9
البلغاء و الصحيفة / شهادات
قال ابن شهر آشوب : و ذكر عند بليغ في البصرة ، فصاحة الصحيفة الكاملة ، فقال : « خذوا عنّي حتّى أُملي عليكم » و أخذ القلم ، و أطرق ، فما رفع رأسه حتّى مات ! 10

الشهادات الصحيفة عند الناقدين

قال الدكتور الشيخ محمّد حسين علي الصغير ـ أُستاذ في الدراسات القرآنية و البلاغية و النقدية في جامعة الكوفة ـ النجف الأشرف : و الحديث إلى القلب ينبع من القلب و دعاء الإمام بإيحاءاته كافّة ينطلق من الأعماق فهو يخترق كلّ الأعماق ليستقرّ بها معلماً شاخصاً هادفاً يهدي سواء السبيل .
ليس في هذا الحديث مبالغة الرواة ، و لا عنت الكتّاب ، و لا مساومة التاريخ ، بل فيه الصورة الناطقة المعبّرة عن حقائق الأشياء دون تزيّد على الواقع الصحيح ، و لا ؟؟؟ على الحقيقة الحرّة ، بل هو الروح الخالص المستنبط من واقع الأحداث 11 12 .

_____

1. كذا نقله البهائي في الكامل ، و في مقتل الخوارزمي « الزكاة » بدل « الركن » .
2. مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي : (2 / 69 ـ 71) و لاحظ جهاد الإمام السجاد (ص 54) .
3. من مقالنا أدب الدعاء في الإسلام (ص 26) .
4. نهج البلاغة الخطبة (233) .
5. من كلام الرضي الشريف في مقدّمة نهج البلاغة (ص34) .
6. لاحظ جهاد الإمام السجّاد (عليه السلام) (ص114) .
7. لاحظ جهاد الإمام السجّاد (عليه السلام) (ص34 ـ 35) .
8. شرح الصحيفة السجّادية في مجلّدين للشيخ حسن بن عبّاس بن محمّد علي البلاغي ماضي النجف و حاضرها : 2 / 68 .
9. بژوهشگران عدد 11 بهمن و اسفند 1372 ش ص 19 مقاله مفهوم وحدت وجود و تطوّر آن .
10. مناقب آل أبي طالب (عليه السلام) 2 / 241 .
11. الإمام زين العابدين ص 92 .
12. مجلّة البلاغ الكاظمية السنة الأُولى العدد (6) علم الحديث 2 / مقدّمتان